



كيف نتحمل المسؤولية

سورة الحشر (059)

خطبة جمعة

2025-12-19

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

مقدمة:

وبعد فبا أئها الإخوة الكرام: يُحكى أنّ رجلاً كان مُستلقياً على شاطئ البحر، وقد أحاط به منه عقيب وكان كل من رأى الرجل يقول إنه هالك، لا بُدَّ أن تلدغه العقارب، العجيب أنّ الرجل لم يُصَبْ بلدغة واحدة لماذا؟ لأنّ كل عقيب كان يقول في نفسه: سأترك المهمة لغيري، لن أرهق نفسي بلدغه، غيري يفعلها، فلم يلدغه أحد، فنج الرجل لا لقوة عنده بل لتفاهتهم جميعاً عن المهمة، هذه الطريقة مقدمة لفكرة مفادها، أنّ هناك من يتحمّل المسؤولية وهناك من يُحمّل المسؤولية لغيره.

المؤمن يتحمّل المسؤولية:

المؤمن يتحمّل المسؤولية، هكذا ينبغي أن يكون، وكثيرون يتخلون عن المسؤولية ويحمّلونها لغيرهم، وهذا المرض قد تحدّثنا عنه في الخطبة الماضية، من يُحمّل المسؤولية لغيره، إنّما يقول أنا ضعيفٌ غيري يحملها، أو يتكبر فيقول أنا لا أخطئ فلا بحمل المسؤولية، وفي النتيجة لا يتحمّل المسؤولية إنّما لشعوره بالضعف، أو لشعوره بتضخم الذات، وعلى الحالين لا يتحمّل المسؤولية.

ويبينا أنّ آدم وزوجه عصيا ربهما في الجنة وأكلا من الشجرة، ولكنهما تحمّلا المسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفُ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ دُرَّتِيهِ إِلَّا قَلِيلًا (62)

(سورة الإسراء)

المشكلة عنده ليست عندي، ثم حمّل المسؤولية لخالقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)

(سورة الأعراف)

أنت أغويتني، القوي المؤمن الشجاع يتحمل المسؤولية، وغيره يُحمّل المسؤولية للآخرين طاناً أنه ينجو بذلك لكنه عند الله لن ينجو.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَفَّوهُمْ ۚ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)

(سورة الصافات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرِّتْكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

(سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلْتَسَأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلِتَسَأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6)

(سورة الأعراف)

سواءً تحمّل الإنسان المسؤولية في الدنيا أم لم يتحمّلها، فإنه سيُسأل يوم القيامة شاء أم أبى.

المسؤولية على أنواع:

أبها الإخوة الكرام: المسؤولية على أنواع، مسؤولية ذاتية تجاه نفسي، ومسؤولية تجاه خالقي، ومسؤولية تجاه الآخرين، هذه مسؤولياتي، هناك مسؤولية تجاه نفسي التي بين جنبي، وهناك مسؤولية تجاه خالقي، وهناك مسؤولية تجاه الآخرين، أمّا المسؤولية الذاتية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَسْفَعْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

(سورة الأحزاب)

المسؤولية الذاتية تجاه نفسي:

ما هي الأمانة؟ هي نفسك التي بين جنبيك، حملها الإنسان قال: أنا لها يا ربّ، أنا أتعهد أن أفوم بمسؤوليتي تجاه نفسي، أن أركبها، أن أحملها على طاعة الله، أن أمرها بالمعروف وأن أنهارها عن المنكر (وحملها الإنسان ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ظلوماً لنفسه جهولاً بحجم المسؤولية، عندما قال أنا لها ثم لم يحملها.

أما المؤمن فليس ظلوماً ولا جهولاً، لأنه قال أنا لها وحملها، يتحدث القرآن هنا عن الإنسان قبل الإيمان (كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) ظلم نفسه لأنه حمّلها شيئاً لا تستطيعه، وجعل حجم المسؤولية، مثلاً الآن لو قلت لإنسان أمامك هذه الحقيبة وزنها مئة كيلو غرام، هل تستطيع أن تحملها؟ قال: أنا لها، ثم جاء ليحملها فلمّا حاول رفعها جاءته آلامٌ شديدة في ظهره وعجز عن حملها، فأقول له: أنت ظلوم، ظلمت نفسك، أذيت جسمك، أنت لا تستطيع حملها، وأنت جهول لا تعلم أنها ثقيلة، لكن لو قال أنا لها ثم حملها، فهو في أعلى عليين، لأنه تحمّل وحمل فعلاً، قال تعالى مُتَحَدِّثًا عَنِ ابْنِ إِسْرَائِيلَ قَوْمَ مُوسَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)

(سورة الجمعة)

وصفٌ في منتهى الدقة (حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) هذا كتاب الله بين أيديكم، احمِلوه اعملوا بما فيه، خذوه بقوة، لكنهم لم يعملوا به ثم لم يحملوها، حُمِّلُوا فلم يحملوها، قال: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) ماذا ينفع الحمار لو وضعت على ظهره كتاباً من ألف صفحة في العلوم جميعها؟ ماذا ينفعه؟ لا ينفعه شيء، يحمله لكنه لا يعمل بما فيه.

المسؤولية تجاه أنفسنا أن نركبها:

أبها الإخوة الكرام: أمّا المسؤولية تجاه خالقنا، فهي أن نقوم بواجب العبودية لله، المسؤولية تجاه أنفسنا أن نركبها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

(سورة الشمس)

أن تحملها على الطاعات، أن نهاها عن المنكرات، أن نملأها بمكارم الأفعال والأفعال، تُركبها نُحليها من الأدران ونملأها بالخيرات، هذه مسؤولية النفس.

المسؤولية تجاه الخالق:

أما المسؤولية تجاه الخالق، فإن نقوم بواجب العبودية لله تعالى، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانظروا كيف كان يتحمّل المسؤولية صلى الله عليه وسلم:

{ أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَمَّرُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَعَمَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ غَائِبَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا فَلَمَّا كَثُرَ لِحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ
فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ }

(أخرجه مسلم وأحمد والطبراني)

أيا وأنت تُصلي نرجو أن يغفر الله لنا ذنوبنا، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عُفِرَ له الذنب الماضي واللاحق إن حصل (وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) انظروا إلى تحمّل المسؤولية قال: (أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً) مسؤولية تجاه خالقي أن أعبد حَقَّ عبادته، لا أتخلى عن مسؤوليتي ولو عُفِرَ الذنوب، فكيف ونحن غارقون في الذنوب نسال الله السلامة.

المسؤولية تجاه الآخرين:

المسؤولية تجاه الآخرين تبدأ من والديك، إلى أهلك الصغيرة، إلى عائلتك الكبيرة، إلى زوجك، إلى أولادك، إلى مجتمعك، إلى أرحامك، إلى أصدقائك، إلى إخوانك في الدين، إلى إخوانك في الوطن، إلى إخوانك في الإنسانية، مسؤولية تجاه كل شيء، حتى تجاه الحيوان الأعجم، هناك مسؤولية تجاهه ألا تؤذيه، هذه المسؤولية تجاه كل الكون من حول الإنسان، المسؤولية تجاه الآخرين.

أبها الإخوة الكرام: وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ
عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى بَيْتِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي)

(كلُّكم) أنا وأنت، لا تُقلِّ الراعي هو الحاكم، هذا راعٍ رعيته كبيرة وجملة ثقيل وكان الله في عونه، أنا راعٍ وأنت راعٍ لنا رعيته، الرجل في بيته له رعيته، والمرأة في بيتها لها رعيته، ومدبر الشركة عنده رعيته، كلُّ من راعٍ، والمعلم في صفه عنده رعيته، والمجاني عنده رعيته، والطبيب رعيته المرضى، وهكذا.. وكلُّ مسؤولٍ عن رعيته حفظ أم ضيغ، نصح أم غش، ففهم المؤمن هنا أنَّ مسؤوليته تجاه الآخرين عظيمة، ألا يظلمهم وأن يحسن إليهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

(سورة التحريم)

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) هذه المسؤولية الذاتية (نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ) هذه المسؤولية تجاه الآخرين.

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه تحمّل المسؤولية:

هذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، تحمّل المسؤولية منذ اللحظة الأولى لوفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قال المسلمون بالآلاف فليحمل واحد منهم المسؤولية، قال: أنا لها أنا أحملها، الناس في هرج ومرج وحزن، حتى عملاق الإسلام عُمر رضي الله عنه لا يُصدّق الخبر، يأتي أبو بكرٍ أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدخل إليه وهو مُسجى فيكي:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالشُّحِّ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَّلَهُ قَالَ: أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } إِلَى قَوْلِهِ { الشَّاكِرِينَ } قَالَ: فَنَشِخَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مَيِّتًا أَمِيرٌ، وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عبيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عَمْرٌ يَتَكَلَّمُ، فَأَسَكَّتَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَيْلُغُ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوَزَرَاءُ، فَيَأْتِيْعُوا عَمْرَ وَأَبَا عبيدَةَ، فَقَالَ عَمْرٌ: بَلْ يُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرِنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عَمْرٌ بِيَدِهِ، فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ { (أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى)

ما هذا التحمُّلُ للمسؤولية؟! أنا الآن سأحملُ همَّ الدين كله على عاتقي، هذا أبو بكرٍ لذلك هو الصَّديق، لأنه تحمَّلَ المسؤولية من اللحظة الأولى. ارتدَّت بعض العرب، امتنعوا عن دفع الزكاة، أي لا يدفعون حقوق بيت المال، قام أبو بكرٍ هذا الرجل الأسيِّف، الذي كان إذا صلَّى لا يستبين الناس كلامه من شدَّة بُكائه، هذا الذي نحفظه عن أبي بكرٍ، أنه كان يبكي في الصلاة، في هذا الموقف قال:

{ عن عمرٍ ذُكِرَ عندهُ أبو بكرٍ فَبَكَى، وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنْ عَمَلِي كُلُّهُ مِثْلُ عَمَلِي يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِهِ وَليلاً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ أَمْ لِيَلَيْتُهُ فليلاً سَارَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَارِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخَلَ قَبْلَكَ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دَوْلَجٌ فَكَسَحْتُهُ وَوَجَدَ فِي جَانِبِي نَجَسًا فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِهُ وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رِجْلِي ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْخُلْ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي جِرِّهِ وَنَامَ فَلَدَغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجَحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكَ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَتْ دَمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَالِكُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: لِدِعْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَفَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ ثُمَّ انْتَقَصَ عَلَيْهِ وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ وَأَمَّا يَوْمُهُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدَّت العربُ وقالوا: لَا نُؤَدِّي زَكَاةً، فَقَالَ: لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَفَعَلْتُ: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَأَلْفِ النَّاسَ وَارْفُقْ بِهِمْ، فَقَالَ لِي: أَجَبْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخَوَّزْتُ فِي الْإِسْلَامِ؟ إِنَّهُ فِدَا انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ أَيْنَعْمُ وَأَنَا حَيٌّ؟ { (أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ وَاللَّكَاثِي فِي شَرْحِ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ وَابْنُ بَشْرَانَ فِي فَوَائِدِهِ)

أُقَابِلُ اللَّهَ وَأَقُولُ الثَّغْرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ نَقِصَ الدِّينِ مِنْهُ وَأَنَا شَاهِدٌ! مَا هَذَا التَّحَمُّلُ لِلْمَسْئُولِيَّةِ؟!

كُلُّ مَثَلٍ مُرَابِطٌ عَلَى ثَغْرِهِ يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ:

كان السلف يقولون: "أنت على ثغرةٍ من ثغر الإسلام فلا يؤتِيَنَّ الإسلام من قبلك"، كُلُّ مَثَلٍ مُرَابِطٌ عَلَى ثَغْرِهِ، أَيْقُولُ النَّاسُ أَبُو فَلَانٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ وَيَغْشُنَا؟ أَوْتِيَّ الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِكَ، انصرف بعض الناس وهذا ليس عُذْرًا لَهُمْ، انصرفوا عن الصلاة في المسجد قالوا: فلان يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ لَكِنَّا نَغْشِي النَّاسَ! أَنْتَضِعِينَ الْحِجَابَ عَلَى رَأْسِكَ مُلْتَزِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ تَغْتَابِينَ خَلْقَ اللَّهِ؟! فَتَأْتِي الْمَرْأَةَ الْمُتَفَلِّتَةَ مِنْ مَنَهِجِ اللَّهِ فَتَقُولُ: انظروا إلى فلانة تزعم أنها صالحة ولكنها تؤذي الناس بلسانها، أَوْتِيَّ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكَ أَنْتَ عَلَى ثَغْرٍ، الطَّيِّبُ عَلَى ثَغْرٍ، أَيْقُولُ النَّاسُ: هَذَا هُوَ الطَّيِّبُ الْمُسْلِمُ يَبْتَرُّنَا وَبِلِجْنِنَا إِلَى تَحَالِيلٍ طَبِيعِيٍّ لَسْنَا بِحَاجَتِهَا! الْمُحَامِي عَلَى ثَغْرٍ، الثَّغْلَمُ فِي الصَّفِّ عَلَى ثَغْرٍ، وَاللَّهُ كُلُّ مَثَلٍ عَلَى ثَغْرٍ يَا كِرَامَ، فَلْنَقْتَدِ بِأَبِي بَكْرٍ يَقُولُ: { تَمَّ الدِّينُ أَيْنَعْمُ وَأَنَا حَيٌّ؟ }.

سيدنا عُمَرُ رضي الله عنه تحمَّلَ المسؤولية:

ثم إذا أتينا إلى عُمَرُ رضي الله عنه، يأتي عام المجاعة، انظروا إلى تحمُّلِ المسؤولية، فُحِزَّمَ الطَّعَامُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ لِبَطْنِهِ وَقَدْ أَكَلَ الشَّعِيرَ يَقُولُ: < لن أكل الطعام والناس جوعى.

كان يقول: < تحمَّلُ للمسؤولية أنا مسؤول.

كان يقول: <، عندي مسؤولية في الليل وعندي مسؤولية في النهار، فالنوم قليل مسؤولية كبيرة.

ربيعي بن عامر لما دخل على رستم قائد الفرس وقال له: ما الذي جاء بكم؟ قال: < نحن من ابتغنا الله، هذه مسؤوليتي أريد أن أقوم بها.

{ وقال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ أطلبُ سعدَ بنَ الرَّبيعِ، فقال لي: إن رأيتَهُ فأقرئهُ مِنِّي السلامَ، وقُلْ له: يقولُ لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجدُك؟ قال: فجعلتُ أطوفُ بين القتلى، فأثبتهُ وهو بأجرِ رمقٍ، وفيه سبعونَ صربةً، ما بين طعنةٍ برُمحٍ، وصربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ، فقلتُ: يا سعدُ، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرأُ عليك السلامَ، ويقولُ لك: أخبرني كيف تجدُك؟ فقال: وعلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم السلامُ، قُلْ له: يا رسولَ الله، أجدُ ريحَ الجنةِ، وقُلْ لقومي الأنصارِ: لا عُذْرَ لكم عندَ الله إنْ خُلصَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفيكم عينٌ تطرفُ، وفاضت نفسهُ مِن وقتِهِ {
(شعيب الأرنؤوط تخرّيج زاد المعاد)

في اللحظة الأخيرة يتحمّل المسؤولية وهو يموت، لا عُذْرَ لكم أن يؤتى الإسلام وأنتم شاهدون، تحمّل المسؤولية.

كيف نتحمّل المسؤولية؟

كيف نتحمّل المسؤولية؟ أولاً بمراقبة الله تعالى، والله أيُّها الكرام لا يمكن أن يتحمّل أحدُ المسؤولية الحقّة إلا إذا كان يعلم أنّ الله ناظرٌ إليه، القوانين تُحمّل الناس بعض المسؤوليات وهي مطلوبة، لكن المراقبة تحمّله المسؤولية، لماذا يكون مسرعاً ثم فجأةً يُخفّف سرعته؟ لأنه ينظر إلى الشرطي الواقف ينتظره ليخالفه، أو إلى الكاميرا المثبتة التي ستصوّر سرعته، يشغّر بالمراقبة فيتحمّل المسؤولية، المراقبة أولاً مراقبة الله تعالى.
هذا سهل بن عبد الله التستري يقول: < المراقبة أولاً أن تُراقب الله.

ليس في ديننا دنيا ودين:

الأمر الثاني: ألا تفصل بين دنيا ودين، أحببنا الكرام نحن ليس في ديننا دنيا ودين، يقومون أحياناً بعمل برامج إذاعية وتلفزيونية دنيا ودين، تمبيغ للمصطلحات، ليس هناك دنيا في مقابل دين، هو دين، الدنيا والدين دين، فعلم ابنك أنه عندما يُرتّب سريره صباحاً يتحمّل المسؤولية، يرتبه إرضاءً لربه وليس إرضاءً لأمه ولا لآبيه، طبعاً بر الوالدين مطلوب، لكن يُرتّب حتى السرير إرضاءً لربه، ليس هناك دنيا ودين كله دين، وبذلك يتحمّل الإنسان مسؤولياته الدنيوية ويعتبرها دنياً يدين به الله تعالى.

إذا أردت أن يتحمّل ابنك مسؤوليةً فحمّله المسؤولية:

الأمر الثالث: إذا أردت أن يتحمّل ابنك مسؤوليةً فحمّله المسؤولية، بعض الآباء يقول لك: ابني لا يتحمّل المسؤولية، متى حمّلته المسؤولية ولم يحملها؟ يقول لك: أخاف عليه، إذا لن يحمل المسؤولية، ما دمت تخاف عليه لن يحمل المسؤولية، وكله بمهمة، كلفه بمهمة ثم تابعه على تنفيذها، ثم عزّزه، امدحه عندما ينفذها فيتعلم تحمّل المسؤولية.
أسامة بن زيد أيُّها الكرام كان عُمره لم يصل إلى الثامنة عشرة لقا بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم قائداً على جيش إلى أرض البلقاء في الشام، وفي الجيش أبو بكر وعُمر رضي الله عنهما، وأنفذ البعث أبو بكر رضي الله عنه، ووصل إلى البلقاء أسامة بن زيد وأربع الروم، وهو ابن ثمانٍ عشرة سنة، واليوم ابن الثمانٍ عشرة سنة يبحث عن الفريق الفائز في المبارزة.
إذا درسنا سيرة أسامة بن زيد سنجد أنه حمّل المسؤولية، حمل هم الدين من نعمة أطفاره، فأنت حمّل ابنك المسؤولية قُلْ له: أنت مسؤول، وكله بمهمة طبعاً مع المراقبة، والمهمات التي تكون تحت نظرك لكن عن بُعد، وكله قُلْ له افعل كذا، أريد منك كذا في البيت كذا في المدرسة، حمّله المسؤولية، تقول الأم: دائماً أدّرّسه صار في الصف السادس وما زلت أدّرّسه كل يوم، لماذا؟ قال: حتى يأتي بالعلامة التامة، فليأتني بتسعةٍ من عشرة أو ثمانٍ من عشرة، لكن بشرط أن يتحمّل المسؤولية، أنه يدرس هو ويُحضّر هو للامتحان، لا بُدَّ أن يتحمّل المسؤولية، وإلا لن يتحمّلها إذا لم نُحمّله نحن المسؤولية.

دائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالأمال:

الأمر الأخير أيُّها الكرام: كيف نتحمّل المسؤولية؟ أن نتحرك ضمن دائرة الممكن، فدائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالأمال، يعني شابٌ يقول لي: والله لم تأت اللحظة المناسبة بعد لأحبل المسؤولية، لم تأت حتى الآن اللحظة المناسبة لأقوم بدوري في بناء أمتي، لم تأت اللحظة ما رأيك؟ قلت له لن تأتي هذه اللحظة أبشرك من الآن، ستموت قبل أن تأتي هذه اللحظة، الذي ينتظر اللحظة المناسبة ليتحمّل المسؤولية، يُبشّر من الآن لن تأتي هذه اللحظة المناسبة، فلتتحرك ضمن دائرة الممكن.
من تلبس إبليس على الناس أنه يُرْدهم بالممكنات ويُطعّمهم بالمسئلات، أنت إن شاء الله ستكون في الجيش الذي سيفتح الأقصى، ويجب أن تُشجّع أبناءنا على ذلك، لكن الآن الذي بين يديك لماذا لا تفعل به شيئاً؟ لماذا لا تقوم الآن لنصرة أمتك بالممكن، فيُرْده بما بين يديه ويُطعّمه بما هو بعيدٌ عنه نسبياً، فلا هو يُحقّق البعيد ولا القريب، فلا بُدَّ أن نتحرك ضمن دائرة الممكن، دائرة الممكن تتسع بالأعمال لا بالأمال.
أيُّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ مَلَكَ الموت قد تخطّنا إلى غيرنا وسيتخطّى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، واستغفروا الله.
الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سمعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرّاً ما أهْمنا وأعَمَّنّا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقُّفاً، نلّناك وأنت راضٍ عَنّا، لا إله إلا أنت سبحانك إنّنا كُنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين.
وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّناك وأنت راضٍ عَنّا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.
اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمة الغيث من السماء.
اللهم فأتم نعمتك وفضلك علينا يا أكرم الأكرمين، وارو البلاد والعباد بفيض بركاتك يا كريم.
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ولا تُهلكننا بالسنين ولا تُعاملنا بفعل المُسبئين.
اللهم كُنْ لأهلنا المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، في فلسطين وفي عَزَّة وفي السودان وفي كل مكانٍ يُذكر فيه اسمك يا الله، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.
اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوْ غريبهم، وألهمنا سبيلاً لنُصرتهم يا أرحم الراحمين فإنك أعلم بحالنا.
نشر الأمن والأمان في ربوع بلادنا، ووقِّ القائمين عليها للعمل بكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربّ العالمين.